فن الإلقاء والإنشاد ومهاراتهما الفرعية

عبدالله حسن محمد الأمين

1437هـــ ـــــــ 2015م

الحمد لله الذي هدانا سواء السبيل ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على إمام الأنبياء وسيد المرسلين ، نبينا محمد الأمين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

هذا البحث الموسوم بـ (فن الإلقاء والإنشاد ومهاراتهما الفرعية) قد جاء استجابة لنداء جامعة أم القرى بمكة المكرمة للمشاركة في مؤتمر علوم العربية في التعليم الجامعي والذي أقيم في عام 1433-2012م . وهو في صميم المحور الأول (مهارات علوم العربية) وقد تم من خلاله الاستقراء لهذين الفنين بوصفهما الوسيلة الأولى التي وجدها العربي للتفاعل مع من حوله حتى تملّك الفصاحة التي لا تنال إلا بتحصيل الملكة اللغوية وتنميتها بالإكثار من الإلقاء والممارسة والحفظ والسماع .

وملكة الإلقاء من الممارسات الفنية المترجمة لأفكار الإنسان ومشاعره، ومن هنا كان الدافع للاهتمام بهذا الفن والبحث عن مهاراته وكيفية اكتسابها .

والبحث - يهدف إلى رصد هذا الفن وبيان مدى ارتباطه بالشعر العربي قديماً وحديثاً مع بيان أثر الصوت وجماله في جذب السامع وجعله أكثر لصوقاً بالنص الشعري إلى جانب أنَّ الشعر عندما يتوافر له جمال الصوت مع روعة الأداء يكون أدعى ليقظة الذهن ، وتنظيم العقل ، وإنعاش العاطفة .

والإلقاء فن التعبير عما يختلج في النفس ابتغاء الإفهام والتأثير في المتلقّي .والمنهج الذي اتبعه الباحث المنهج الوصفي التحليلي مع الميل إلى المنهج الاستقرائي في تتبع هذا الفن في التراث الأدبي العربي في القديم والحديث وهيكل البحث قد تمّ بناؤه على النحو التّالي :

التمهيد : وتضمن التعريف بفن الإلقاء ورحلته بين الفنية والعلمية .

المبحث الأول : وقد قصرناه على أنواع الإلقاء ، ومستويات الأداء الفني والعلاقة بين فن الإلقاء والخطابة وارتباط بعضهما ببعض في التراث الأدبي العربي .

المبحث الثاني : وضمنه الباحث موضوع الإنشاد ، تعريفه وارتباطه بالشعر في القديم والحديث مع ذكر شعراء عُرفوا بجمال الصوت وروعة الأداء .

الخاتمة : وتضمنت ملخصاً للبحث وما فيه من نتائج وتوصيات .

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد
التعريف بفن الإلقاء ورحلته بين الفنية والعلمية

اللغة العربية لغة غنائية ، فهي من اللغات الموغلة في القدم ، واللغات القديمة من سماتها كثرة الإيقاع والتنغيم وهي لذلك تفوق اللغات الحديثة في الموسيقى والغناء ولغتنا العربية – إلى ذلك – لغة أناقة وزخرف ، ومبالغة ، وتهويل ، والنغم والوزن والتطريب والرنين ، من عناصرها الرئيسة ، وصفاتها الأصلية ، ثم إن فيها من القوافي المتناسبة ما يتعذر وجوده في سائر اللغات ، وشعرها المشتق من كيانها يحمل خصائصها وميزاتها فهو كلام موسيقي منغم متوازن على اختلاف بحوره وقوافيه ، وهو هنا في النفس حين تضطرم بنوازع النشوة والألم ، والسرور والحزن ، والرضا والغضب ، والبسط والقبض والخوف والرجاء ينبع في يسر من أعماقها سيالاً متداركاً ، كأنما تجد في تناغم ألفاظه ، وتآخي أوزانه ، ورنين أجراسه ، واتساق نبراته ، وتعاطف حروفه متنفساً لهذا الجيشان العنيف ، وتلطيفاً لهذه الثورة الصاخبة.

ويرى (كولردج) أن الوزن ينشأ من توازن في العقل ناشئ عن الانفعال القهري ، والمجهود الاختياري ، ومن التوازن بين الحالين المتعارضين: حالة التأثر الوجداني وحالة الضبط الإرادي ينشأ الوزن الشعري ، وينبغي أن تجتمع هاتان الطاقتان اجتماع تمازج واتحاد ، لا اجتماع تقارب أو جوار. وهذا الاتحاد ينتج من نفس لغة بديعة الصور، محركة للذهن ، مثيرة للوجدان ، ويتجلى هذا في الشعر ، وإن كانت تبدو منه أحياناً من النثر بعض سمات ، ونبضات القلب التي تبلغ ستاً وسبعين نبضة في الدقيقة عند الإنسان السليم ، قد حاول بعض الباحثين أن يربط بينها وبين وزن الشعر ، ويرون صلة وثيقة بين نبضات القلب وما يقوم به الجهاز الصوتي وقدرته على النطق بعدد من المقاطع ، يعادل ثلاثة لكل نبضة قلبية ، ومن الممكن الربط بين نبضات القلب ، وحركات الرقص والموسيقى والغناء ، وهي فنون وثيقة الصلة بالشعر.

والإلقاء موهبة من المواهب التي يمنحها الله سبحانه وتعالى لكل من الخطيب

والمحاضر والمذيع والممثل ، وفن الإلقاء : هو فن التعبير عما يختلج في النفس باللسان والحركة وبالإشارة مجتمعة في وقت واحد ابتغاء الإفهام والتأثير ثم الإفحام لأنه نهاية النهايات من فن الإلقاء وهو التأثير في السامعين.[1]

وهو فن ذو صلة بعلم النفس وعلم الاجتماع ، وعلوم اللغة وآدابها وهناك من يعرفه بالمهارة الفنية في استغلال الصوت البشري بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله مع الآخرين بشكل ممتع ومثير.[2]

ويرى آخر أن الإلقاء يعني حسن الأداء الصوتي للمادة المفردة ، بحيث يتم تكوين الصوت وفقاً لمتطلبات الصياغة الأسلوبية ، والمدى التأثيري المطلوب ، ويكون في القراءة العادية ، وفي الخطابة ، وقراءة الشعر وفن التمثيل.[3]

ويرى الدكتور بدري حسون فريد: أن فن الإلقاء هو فن استخدام الكلمة استخداماً مؤثراً أو هو المهارة الفنية في استغلال الصوت البشري بشكل جميل وممتع ومثير ، وهذا يعني أن الإلقاء هو المهارة الفنية أو الخبرة أو المعرفة العلمية في كيفية تطويع الصوت الخام إلى وزن وكلمات وتراكيب وجمل تجسد فيها روح الجمال والإبداع الصوتي البشري. وهناك تعريفات كثيرة لفن الإلقاء متناثرة في بطون الكتب تهدف إلى الغاية نفسها، منها أن فن الإلقاء : هو فن تجميل الكلام ، وبقول أخر إنه فن التعبير عما يختلج في نفس الإنسان باللسان والحركة والإشارة.

وإذا علمنا أن الإلقاء هو نقل الأفكار ، وأن الشعر وعاء للأحاسيس ، وأن الشعر يفطن إلى ما لا يفطن إليه غيره خلصنا إلى أن (الإلقاء الشعري) هو نقل للتجربة الشعورية المعبر عنها مشحونة بالعواطف في صورة موحية إلى السامعين ، وذلك بتمثيل المعاني واسترجاعها مرة أخرى.

ومن خلال التعريفات نجد أن الإلقاء حائر ما بين الفنية والعلمية ، فالفنية من خلال أنه تجميل الكلام ، والعلمية في أنه مهارة وموهبة يكتسبها الإنسان ويصقلها بالعلم والمعرفة.

والإلقاء في رحلته ما بين العلمية والفنية يتجه العلم والفن إلى العناية بصقل المواهب والتدريب ، وأسلوب الإلقاء وتدريب أصوله وطرائقه في ضوء الدراسات والأبحاث النفسية والاجتماعية والتجارب الفنية المتتابعة في ميادين الإذاعة ،

---

(1) فن الإلقاء ، عبد الحميد حسبو سالم ، مطبعة الأندلس ، القاهرة ، ط 1977م ، ص (27).
(2) فن الإلقاء ن سامي عبد الحميد ، بدوي فريد ، مطبعة بغداد ن ط 1980م ، ص ( ).
(3) المهارات اللغوية ، د.محمد الشفطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1994م ، ص (226).

والتلفزيون ، والمسرح ، وأصبح فن الإلقاء عنصراً مهماً في الدراسة المتخصصة ضمن هذه المجالات، تعقد له البحوث وتقام فيه الندوات ، وتؤلف فيه الكتب ، وتقام له المؤتمرات والإلقاء لون من ألوان الخبرات الحيوية التي تستند في تكوينها ، ونموها ، ونضجها على أصول ، وأسس محددة ، وقواعد واضحة.

ولكي يتم تحديد وضع الإلقاء بين الناحيتين العلمية والفنية لابد أن نبين خصائص كل من العلم والفن.

فالعلم لغة: هو إدراك الشيء بحقيقته معرفةً ويقيناً ، ويكون على درجات وطرق أحدها ما وقع من عيان وهو البصر ، أما ما استند إلى السمع أو استند إلى التجربة ، أو ما أدرك بسائر الحواس ، أو الباطن وهي الوجدانيات ، أو ما حصل بالفكر والاستنباط ، وإن لم يكن تجربة. وطرق العلم ، ووسائل إدراكه هي: السمع والإبصار والأفئدة ، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾.(1)

أما الفن فهو أنواع متعددة من المهارات اليدوية أو الحركية أو الصوتية كالخط والرسم والنحت والموسيقى ، والخطابة ، والتمثيل ، والغناء ونحو ذلك.

ونضع أمامنا مجموعة من الأسئلة التي تدور حول الإلقاء منها(2):

هل الإلقاء مجموعة من الحقائق ، والقواعد الثابتة التي لا سبيل إلى الشك فيها والاختلاف في تطبيقها؟ وهل يتفاوت حظ الخطباء والمحاضرين في المهارة في الإبقاء بتعاونهم في الإلمام بهذه الحقائق والقواعد ، ويكون أقلهم مهارة هو أقلهم حظاً وإلماماً بها؟

أم أن الإلقاء نوع من المهارات العلمية المكتسبة بالمران والتمرس والتدريب؟ ثم أليس من المحتمل أن يكون أمهر الناس في فن الإلقاء أقلهم معرفة بتلك القواعد الفنية، ويكون أحفظ الناس لها هو أقلهم مهارة في المواقف العملية وهنا يجدر بنا أن نعرف أن المهارة التي تبدو في مواقف الخطباء والمذيعين والممثلين والمحاضرين وحسن اتصال كل منهم بجمهوره وحديثه إليهم ، وبراعته في استمالتهم واستهوائهم ، والنفاذ إلى قلوبهم وجذبهم هي أولى المقومات لنجاح فن الإلقاء ، وبذلك يكون الإلقاء فناً وثيق الصلة بالعلوم التي تمده بالتجارب، والخبرات ؛ ومن هذه العلوم: علم النفس الذي

---

(1) سورة النحل الآية (78).

(2) فن الكتابة والتعبير ، أ.د سعود عبد الجابر وآخرون ، جدة ، ط ، ص (119).

يعالج النفس الإنسانية ، ويكشف خفاياها بالبحث والتحليل ، وعلوم اللغة العربية وآدابها حيث تقدم لمن يعمل في هذا الميدان تراثاً ضخماً وذخيرة وافرة .

ومن هنا كان الأصل في الشعر عند العرب أن يلقي إلقاءً ، وإن شئت قد ينشد إنشاداً: لأنه غناء ، أو بسبب من الغناء ، وكثيراً ما يوصف بأنه سجع الحمامة وتغريد البلبل ، وصدح العندليب ، وشدو الهزار ، ورنين الوتر ، ووسوسة الحُلي.

وكما أن الشعر غناء ، كذلك الشاعر مغنٍ أو شبيه بالمغني ، ومذ كان اليونان والرومان يقولون: غنى : لمن ينظم أو يقول شعراً والعرب كذلك يقولون: فلان يتغني بفلان أو فلانة: إذا صنع فيها شعراً ، ومنه قول ذي الرمة.

أحب المكان القفر من أجل أنني — به أتغنى باسمها غير معجم [1]

وكذا يقولون : حدا به : إذا عمل فيه شعراً وفي ذلك يقول المرار الأسدي:

ولو أني حدوت به أرفأت — نعامته وأبصر ما يقول

والشاعر مغن ، وقلما نجد شاعراً لا يصف نفسه بأنه مغن ، أو مطرب أو منشد أو مغرد أو حمامة أو ورقاء أو قمرية ، أو بلبل ، أو هزار ، أو عندليب ، أو كروان ، أو شعرور.

يقول بن نمير الثقفي:

يهيجني الحمام إذا تغنى — كما سجع الحمائم بالمرائي [2]

ويقول المتنبي:

وما الشعر إلا من رواة قصائدي — إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا [3]

---

(1) الشعر وانشاد الشعر - علي الجندي - دار المعارف مصر 1967م - ص49.
(2) المصدر السابق نفسه ص (50) .
(3) المصدر السابق نفسه ص (51) .

فســـار به من لا يسير مشمراً وغنى به مـن لا يغـني مـــغردا

ويقول ابن زيدون :

حمائم سكوي صيحتك هؤلاء تنوح على أفنان أداتي الهْدل (1)

ويقول ابن حبوس يصف شعره:

يخف عن الأفواه في الأزمان كلها فيشدو به شِرْبُ ويحدو به َسفْرُ (2)

ويقول بن الخياط الدمشقي: (3)

غرائب من أبكار مدح كـأنها كرائم من أزهار روض فتائقُ

تشوق وتصبي السامعين كأنما لها يتغنـــى معبد أو َمخارف

ويقول مهيار يصف قصيدته في ممدوحه:

تلذَّ لها مَرُّ النشيد ولينه ويزهي بهاَ رفعُ الكلام وخفضه (4)

ويقول آخر:

تلوم على شغفي بالقدود فهاجني ورفاء تهـوى الغضونا (5)

ســـواء نشيدي لين السبسب وترجيعها بينهن اللحونا

وعرف عن مهيار أنه أكثر شعراء العرب تشبباً لذلك فقل أن تخلو له قصيدة لا يحتمها بوصفه أن شادٍ أو مغرد ، وأنها أنشودة أو أغرودة حتى ليفخر فيقول :

وزفير علمت منه الحمام الدوح ما كان من إسناد وسجع

ومن الشعراء المعاصرين الذين يصفون شعرهم قول البارودي في وصف شعره:

إذا ما تلا منشد في مقامه كفى القوم ترجيع الغناء نشيده (6)

ويقول حافظ إبراهيم في شوقي:

فأصدح وغن النيل واهزز عطفه يكفيه ما عناه من أحزانه (1)

---

(1) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها .

(4) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(3) السفر وإنشاد السفر – علي الجندي ص(75) .

(4) المصدر السابق نفسه ص (75) .

(5) المصدر السابق نفسه ص (75) .

(6) المصدر السابق نفسه ص (76) .

ويقول المازني:

عجبت من مائل عنا وأبدلنا ... شعراً لما سجعت في الروض عبرنان[2]
لكل روضٍ نضير طائرُ غردً ... كذاك نحن حمامات وبستانُ

ويقول الشاعر محمد الأسمر:

أما القوافي فهنا روضتها ... صفا بها لطيرها م،عينها[3]
غنت بها اليوم شواديها فما ... أبدع م،،ا جاء به تلحينها
أطيار شوقي في رباها اتفقت ... قلوبها واختلفت لحونها
مغردًا وصادحًا وساجعًا ... لكل ش،،،اد نغمة يبينها

ومن النثر قول المنفلوطي: (وهل بكاء الحمام إلا شعراً ، لأنه يمثل فجعة البين ولوعة الفراق)[4]

ولعل أجمل وأبلغ ما جاء في تصوير الشاعر تلك الأبيات التي قالها أبو لؤلؤ الذهبي والتي انتهى فيها إلى تفضيل الشاعر على الورقاء في الشدو والغناء والتغريد يقول:

وتنبهت ذات الجن،،اح بسُحرة ... بالواديين فنبهت أشواقى
ورفاء قد أخذت فنون الحزن عن ... يعقوب والألحان عن إسحاق
قامت تطاردني الغ،رام جهالة ... من دون صحبي بالحمى ورفاقي
أنى تباريني جوى صبابة ... وكآبة وآسىَ وفيض مآقي
وأنا الذي أملى الهوى من خاطري ... وهي التي تملي من الأوراق

ومثل ما تقدم من جمال ورونقه ولطفه قول أبي فراس الحمداني وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية[5]:

أقول وقد ناح،،ت بقربي حمامة ... أيا جارتا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذُقت طارقة الهوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل مخزون الف،،،ؤاد قوادم ... على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ... تعالى أقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة ... َتردد في جسم ُيعذبُ بالي

---

(1) المصدر السابق نفسه ص (77) .
(2) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها .
(3) المصدر السابق نفسه ص (78) .
(4) النظرات ،مصطفى لطفي المنفلوطي، دار العلم ط1967م ص29.
(5) الديوان.

أيضحك مأسور ، وتبكي طليقة ويسكن محزون ، ويندبُ سالي

المبحث الأول

أنواع الإلقاء

أولاً: الإلقاء الذي يقوم على التحميس والانفعال الغاضب ، وهذا النوع تكثر فيه الأساليب الإنشائية والاستنكارية فمن أمر إلى نهي إلى استفهام[1] .

استمع إلى قوله تعالى في سورة العلق: ثم قم بتمثيلها في ذهنك وإلقائها ، ﴿ أَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ
﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾
سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ [2]

ثانياً: وهناك الإلقاء الذي يستلزم الرقة وخفوت الصوت كالنصوص المتعلقة بالعواطف الإنسانية ، كالحب والحزن والشفقة.

ثالثاً: وهناك الإلقاء الذي يعتمد الصمت أبلغ من الكلام ؛ لأن الموقف يتطلب هذا الصمت ، وأين يكون ؟ ومتى ؟ والقدر الذي يجب أن يكون أنظر إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد ذهب إلى أهل العراق والياً وأعتلى المنبر ، ثم أمسك لسانه ، وصمت هنيهة ، جعل الناس يعيشون على أعصابهم ، ثم ما لبث أن نطق بالكلام.

أنا بن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[3]

رابعاً: وهناك الإلقاء الذي يعتمد على المناجاة الشخصية ، ويحتاج إلى الحركة والإشارة والحوار ، وفي الحقيقة فإن نجوى النفس وما فيها من أسرار تحتاج إلى قدرة فائقة أكثر من أي لونٍ مضى ، وهي أكثر فنية بحيث لا تصل إلى حد الملل والضجر ، لأن الحديث يكون آنذاك موجهاً إلى النفس.

خامساً: وهناك النوع التقريري القصصي الذي يحتاج الخطيب أو الممثل إلى سرده، ولابد له من إجادة الفهم والقراءة والحركة ، وتوفر خصائص عضوية ولاسيما في الوجه والعضلات.

(1) الخطابة وفن الإلقاء ، د. أشرف موسى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط9 ، 1978م ، ص (99).
(2) سورة العلق الآيات (1 – 9).
(3) المهارات اللغوية ،د. أشرف موسى ، ص (19).

سادساً: إلقاء المحاضرات وهنا لابد من أن نعرض لفن من فنون التعبير لا يقل أهمية عن المقالة والخطبة ألا وهو فن المحاضرة ، وهو أن يتحدث المحاضر في المحاضرة للمستمعين مباشرة ولهذا تحتاج إلى إعداد علمي وفني ، فالمحاضر مسؤول مسؤولية مباشرة عما يقدمه من معلومات[1] .

سابعاً: إلقاء الخطبة : فالخطابة فن مشافهة الجمهور وإقناعه ، واستمالته وبناء الخطبة لا يختلف عن بناء المحاضرات ، والمقالة وغيرها من فنون التعبير فالمقدمة والعرض والخاتمة هي المكونات الرئيسة للخطبة.

وأهم خصائصها قوة الصياغة اللغوية ، ورقة الجرس الموسيقي أما في عصرنا الحديث فإن الخطبة عموماً قد تأثرت بالتفكير العقلي بدلاً من الانفعال العاطفي.[2]

فالخطب التي تمتاز بجمال صياغتها وقوتها ، وتنهض على قيم إنسانية باقية قد دخلت ضمن التراث الأدبي في كل اللغات ، وبقيت حية دائمة التأثير المتجدد للأجيال المتعاقبة.[3]

وللخطيب دور مهم في إنجاح الخطبة ، وهذا بجودة صوته ، وحسن إلقائه وجمال أدائه، فعليه أن يحدد أماكن الوقوف في خطبته ، ويبرز الكلمات المهمة برفع صوته والضغط عليها ، وإهمال الكلمات غير المهمة كما أن عليه أن يراعي موسيقى الكلام ، وتلاؤم الإيقاع مع العواطف التي تصاحبها ، فعاطفة السرور تقتضي الإبطاء ، وعاطفة الغضب تقتضي الإسراع والتدفق.[4]

وأما الحركات والسكنات لا يقوم بها الخطيب لذاتها وإنما للتأثير في المشاهدين وعلى الخطيب أن يكيف حركاته وسكناته تبعاً للأفكار والمواقف من مواقف جادة أو هازلة أو حزينة أو عاطفية ، كل ذلك من الأمور المهمة التي

يجب أن يتم التدريب على مبادئها الأساسية بحيث يتعرف الأديب أو الممثل أو المحاضر بصفة خاصة على أداء الحركات التعبيرية كحركة العين واليد والأمر لا يقتصر على الحفظ بل ينبغي أن ترسخ الحركة والاتصال في الأذهان قبل الحوار ، وأن يتذكر الخطيب المواطن الخاصة ببعض الأمور.

وكلما كان قارئ الخطبة قادراً على الانفعال بالمواقف متفهماً لحقيقة الدور الذي يقوم به متمكناً من الإحساس بالنسب الكلامية كان ممسكاً بزمام الموقف متقناً

---

(1) الخطابة وفن الإلقاء ، د. أشرف موسى ، ص (99).

(2) طرق تدريس فن الإلقاء ، د. علي حسين محمد ، ص (36).

(3) الأدب وفنونه ، د. محمد مندور ، القاهرة ، نهضة مصر ، ص (17).

(4) فن الخطابة ، د. أحمد محمد الحسوفي ، ص (192).

للإلقاء.[1]

ومما سبق وضح لنا أن الإلقاء فن من فنون الأدب العربي التي لها أهمية كبيرة ، وهو علم وفن له وقعه وأهميته وأثره على النفوس ، فهو فن له تأثيره في المتلقي من حيث صقل شخصيته وتأكيد ثقته بنفسه.

ويعتمد فن الإلقاء في مراحله التعليمية أن يتعلم الملقي مهارات منها إعطاء الكلام حقه من التفخيم والترقيق ، وتلبس معاني الكلمات والعبارات وإيماءاتها ، والقدرة على تمثل الحالات ، كالفرح ، والحزن والاستبشار، والعزة ، والفخر ، والهدوء، والاطمئنان ، والانفعال ، وغير ذلك.

وللإلقاء أشكال مختلفة من شعر وخطابة ، وحوار مسرحي يؤدي إلى تحسين الأداء الذي بدوره يتحول الملقي إلى صانع له وماهر فيه .

ومن ظواهر الأداء وأساليبه:[2]

التنغيم: هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء إلقاء النص لا بطريقة عشوائية ، وإنما بمقدار الحاجة التي يتطلبها النص الملقى ، فتتابع الدرجات الصوتية على الكلمة أو الجملة الكاملة ، فحدة الكلمة أو انخفاضها يتماشى مع حالة الجملة ن وحالة النص، وحالة الملقي ، فالارتباط بين النغمة وهذه الحالات يبين عما يعبر عنه النص ، وعن مشاعر الملقي كذلك.

وقد اتفق علماء الصوتيات على أن صور التنغيم تتمثل في خمس صور هي:

نغمة صاعدة: وتصلح هذه النغمة القوية الواسعة للإلقاء الذي تصحبه الانفعالات والعواطف المثيرة مثل الخطب الحماسية في السياسة والوطنية والدعوة للجهاد ، أو تلك الخطب الغامضة المعبرة عن أداء معايرة أو المحاضرات التي تلقي في أعداد كبيرة.

نغمة هابطة: وفيها ينخفض الصوت إلى درجة الهمس ، ويكون ذلك في التعبير الهامس بين متحاورين يحرصان على ألا يتجاوز الكلام أذانهما ، أو في حالات الإحباط واليأس ، وبخاصة في الجمل المعبرة عن الحزن والبؤس ، ويكون أبدع ما يكون في نصوص الشعر التي فيها مناجاة وابتهال إلى الله عز وجل.

نغمة صاعدة هابطة: وتظهر الجمل المشددة والمؤكدة كالتشديد والتأكيد والإثبات والنفي والاستفهام والتشديد على كلمة بعينها يدل على ما يعني بها المتكلم فردك على

---

(1) راجع المهارات اللغوية ،د. محمد الشنطى ، ص (127).

(2) أنظر المهارات اللغوية ، الشنطي ، ص (227) وما بعدها.

من أنكر فعل مشيناً ، تقول له مشدداً ومؤكداً على كلمة بعينها كأن تقول :(أنت من قام بهذا الفعل) فعندما تضغط على الضمير (أنت) تؤكد فعله وقباحة هذا العمل.

نغمة هابطة صاعدة: وهو تضييق ما بين أعلى نغمة وأدناها كعبارات التمني والترجي ن والأسف والتحسر والعتاب.

نغمة ثابتة أو مستوية: أي ليست صاعدة أو هابطة ، وتكون عند الإلقاء العادي البعيد عن المؤثرات الأخرى ، قبل العبارات الشارحة أو الموضحة أو عبارات التسليم والاعتراف وغير تلك العبارات التي تتسم بالهدوء والبعد عن الانفعال ، وبخاصة عبارات الحديث العلمي التي لا ترتبط بعاطفة أو خيال.

ومن عوامل نجاح الملقي في إلقاء نص مؤثر في المتلقي: عوامل شكلية ونفسية وتدريبية ، ولعل من أبرز هذه العوامل:

أ/المظهر اللائق الذي يعين على قبول المتلقي ن وهذا لا يعني أن الشكل هو الذي يؤكد النجاح ، وإنما يسنده ويدعمه.

ب/ الشروط الفنية من إتقان النص ضبط ألفاظه وحسن تمثله.

ج/الاستعداد والحضور الذهني.

ولتجويد الإلقاء لابد من مراعاة الصوت واعتداله مع امتلاك القدرة على تنويع طبقاته، ومناسبته للأساليب والمعاني ، وترتبط هذه المهارة بالصوت في طبقاته ، وحسن أدائه، واللسان في سلامة نطقه ، وخلوه من العيوب الخلقية.

كما أن جودة الإلقاء مرتبطة بالحكم على قدرة صاحبها في التأثير ، فكم من كلمة بليغة ضاع أثرها لسوء إلقائها ، وكم من قصيدة متوسطة ارتفع مقدارها بجودة إلقائها، وكذلك فإن كثيراً من أصحاب البيان كانوا يحرصون على تجويد قدراتهم ، ومهاراتهم الإلقائية.

وفي الإلقاء لابد من توافر مهارات لممارسته من أهمها:

- القدرة على تحديد هدف التحدث ، وهو تحديد دقيق للغرض الذي من أجله يتحدث.
- القدرة على نطق الأصوات العربية نطقاً صحيحاً وواضحاً وذلك "لأن للأصوات اللغوية خصائص معينة تميز كلاً منها عن الأخر ، والخلط بين هذه الأصوات يؤدي إلى تغير الكلمة أحياناً فيتغير المعنى[1]".

---

(1) مهارات اللغة العربية ، د. عبد الله على مصطفى ن دار المسيرة للنشر ، جدة ، ط3 ، 2010 ، ص (14).

ومن أهم المهارات والقدرات على الإلقاء التمييز عند النطق بين الحركات القصيرة والطويلة لأن للحركات في اللغة العربية دور أساسي في بنية الكلمة فيتغير مدلول الكلمة بتغير حركة الحرف ، كما أن لطول الحركة وقصرها أثراً في دلالة الكلمة ، فالفتحة من (كتب) إذا طالت تصبح الكلمة (كاتب) ..وهكذا ولذا يجب التقيد بالقدر المحدد من طول الحركة.

ويرى البعض أن من أهم المهارات اكتساب القدرة على استخدام النبر والتنغيم وتنويعه ليتناسب المعنى لما للنبر والتنغيم من دور أساسي في توضيح المعنى ، خاصة في الحديث الشفوي ن وكثير من سوء فهم المقصود يعود إلى الخطأ في التنغيم ، بل أن المعاني البلاغية تتضح عن طريق النبر والتنغيم ، فإظهار التعجب أو الانفعال أو الاستنكار يتم بالتنغيم والنبر كما أن نبر كلمة ما في الجملة يوحي بأهمية دلالتها في الجملة ، وأحياناً يخضع تنغيم الكلام للموقف والسياق ، فعلو النغمة في موقف قد يصبح غير مناسب في موقف أخر وهكذا.[1]

والإلقاء : هو الوسيلة الأولى التي وجدها العربي للتفاعل مع من حوله ، وتملك بها الفصاحة التي لا تأتي إلا بتحصيل الملكة اللغوية وتنميتها بالإكثار من الإلقاء والممارسة ، والحفظ ، والسماع ، وملكة الإلقاء من الممارسات المترجمة لأفكار الإنسان ومشاعره ، ومن هنا كانت الحاجة إلى الاهتمام بها ، والبحث في مهاراتها وكيفية اكتسابها.

العلاقة بين الخطابة وفن الإلقاء:

إن لمهارة الإلقاء صلة وثيقة بفن الخطابة في أدبنا العربي ، من حيث أن الإلقاء خادم لها ، وأن بعض دعائم الخطابة ترتكز على جودة الأداء ، وجمال الإلقاء ، وهما مخلوقان مع الإنسان.

وفي كتب الأدب والأخبار نجد بعض الأقوال التي تجعل فن الخطابة والإلقاء علماً يتم تحصيله بطرق أربعة:

الأول: الفطرة والاستعداد الغريزي ؛ وهذا هو الأساس.

الثاني: معرفة الأصول والقوانين التي وصفها الحكماء.

الثالث: الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء و الخطب ودراستها دراسة تتعرض لمناحي التأثير ، وجهات الإقناع فيها ، وتذوق ما فيها من جمال الأسلوب ، وحسن

---

(1) فن الكتابة والتعبير ،أ.د سعود عبد الجابر وآخرون ، دار المأمور للنشر ، عمان ، الأردن ، ط2006م ، ص (118).

العبارة وجودة التفكير ، قال ابن الأثير في المثل السائر (إن في الإطلاع على أقوال المتقدمين في المنظوم والمنثور فوائد جمة)[1].

ومن أهمها الطريق الرابعة : الارتياض والاحتذاء ، لأن الخطابة والإلقاء ملكة نفسية لا توجد دفعة واحدة بل لابد لطالبها من الممارسة والمران كي تنمو مواهبه.

فالارتياض: هو التدريب على الخطابة فإن ملكتها تنمو وتقوي بالمرانة والممارسة ؛ قال خالد بن صفوان: "إنما اللسان عضوً إذا مرنته ُمرِن تخشنها بالممارسة و كالبدن تقويه برفع الحجر ، والرجل إذا عُودّت المشيء مشت" [1] .

والاحتذاء: أن يعمد الطالب إلى أساليب المتقدمين فيقتفي أثرها وينسج على منوالها ن فلا غنى له عن الاقتداء بالسابقين ، والاقتباس من الأولين فيما اخترعوه من معانيهم ، وسلكوه من طرقهم ، والتقليد شيء عريق في طبع الإنسان ، وقد قال الشاعر:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

يقول أهل الأدب : إنهم لم يروا خطيباً إلا وهو في أول تكلفه للخطابة كان مستثقلاً إلى أن يتوقح ، وتستجيب له المعاني ويتمكن من الألفاظ.

إلا شبيب بن شيبه فإنه ابتداء بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد فيها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره [2] .

وقد ارتبط فن الإلقاء بالأداء الخطابي ، وهو إلقاء الخطبة بما يليق بها من حسن اللفظ ، وموافقة الصوت ، وحركات الجسم ، وشأنه في الخطابة عظيم لأنه يحسن الأداء وينقل إلى نفس السامع مشاعره ، ويحرك أهواءه ويجذبه إلى حيث يقصد من الغاية ويحسن الأداء يجعل للخطابة فضلاً على قراءتها في صحيفة ، فكم من خطبة يحسن الرجل إلقاءها فيجد الناس في سماعها من الارتياح وهزة الطرب فوق ما يجدون عندما يقرؤونها في صحيفة ، أو يستمعون إلى من يسردها عليهم سرداً مباشراً، ولابد في الأداء من أشياء مثل حضور الذاكرة وحسن اختيار اللفظ وجمال الصوت وجميل الإشارة ، لأن جودة الأداء تستدعي بتذكر الخطيب الحال وما يريد بيانه من المعاني ، وأن يوصلها للسامعين بالصوت الخاص ناطقاً بها ، ولا

([1]) المثل السائر ، ابن الأثر ، ج 1 ، دار الكتاب العربي ، ص (14).

(1) فن الخطابة وإعداد الخطب ، الشيخ على محفوظ ، دار الاعتصام ، ص (18).

(2) المصدر السابق ، ص (18).

غنى له معها من إشارات تؤيد الكلام ، وتزيد المعاني وضوحاً وبذلك يصل إلى المقصود من قلوب الحاضرين (3) .

وللصوت في الخطابة التأثير الأكبر لأنه المترجم عن مقاصد الخطب والكاشف عن أعراضه لمصاحبته للألفاظ ن كالشارح لما أريد بها مما لا تستقل بالكشف عنه ، ولأنه الطريق إلى قلب السامع ، والممثل لصورة المعاني أمامه.

وطبقة الصوت،واللفظ وهيئة الوجه،وحركات الجسم كلها تتضافر على بيان ما في النفس، وتصوير ما بالخاطر فعلى الخطيب أن يراعي من جهة الصوت حسن اللفظ واعتدال الصوت ، والتفنن فيه والمراد بحسن اللفظ ، أن يعطي كل حرف حقه من الوضع المتعارف عليه ، يخرجه من مخارجه الطبيعية مع اجتناب لهجة العامة والالتزام باللغة العربية الفصحى.

والمقصود باعتدال الصوت موافقته للأحوال والظروف فإنه يختلف باختلاف الحضور والمكان فيحتاج المكان الرحب مع وفرة السامعين إلى صوت أدق وأمهر ، والتفنن في أن يجعله طبق المعاني التي يصورها بالألفاظ ، ويمثلها بالصوت بأن يعطي ألفاظ الاستفهام والتعجب والتوبيخ واللوم والتفريح ، والزجر ، والتفخيم ، والتهويل، والحزن والندم والحيرة ، والوعد والوعيد وما إلى ذلك حقها في النطق، فيكيف الصوت فيها بتكييفات خاصة ، وانفعالات تتناسب مع المعنى الذي يقصد ، حتى يثير ذلك في نفس السامع الرغبة والرهبة والانزعاج والندم ، ويحدث فيها هزة الفرح والارتياح والنشاط تبعاً لسير المعنى الذي يتكلم فيه ، وأن يخفض صوته في موضع الخفض واللين ، ويشتد في موضع الشدة ، ويتأفف في موضع التأفف ويتطامن في موضع التطامن ، كالدعاء ، والاستعطاف ، والاسترحام ، واستنداء الأكف عند جمع المال للأعمال النافعة ، أو الإنفاق على بيوتات مجد أفنى عليها الدهر ، وأن يمسح بأنفه ، ويظهر العزة ، وعلو النفس في مواضيع الفخر والحماسة ، وذكر شرف العلم والتقوى ، وأن يتأثر حتى يظهر أثر الانفعال المعتدل في صوته وإشارته وملامح وجهه عند ذكر حادثة مؤلمة ،أو حكاية خطب فظيع ، أو ندم على فوات مطلب عزيز ونلاحظ أن كل هذه الأشياء تخص التفنن في الإلقاء وجودته والتشخيص لمقامات الخطابة حتى يبكي أو يتباكى عندما تدعو لذلك الحاجة ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عمق الصلة بين فن الخطابة ومهارة الإلقاء.

أما الإشارة الخطابية فهي حركات تبدو في جسم الخطيب ووجهه ورأسه

---

(3) أنظر المصدر السابق ، ص (64).

وجوارحه من شانها تأييد الكلام الذي يتفوه به ، وحسنها من تمام حسن البيان باللسان.

ويرى الأدباء أن لهذه الإشارات شأن عظيم ، لأنها تشارك النطق في نقل الفكر ، وانفعالات الخطيب متخذة البصر لها سبيلاً فهي اللغة العمومية التي يفهمها كل إنسان، وما تحدثه من التأثير لا تأتي بمثله لغات العالم ، ولا يكاد صاحب حديث يستغني عنها .

قال تمام بن أشرس (لو كان ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفر بن يحي عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة فهي ضرورية للخطيب ، وبها يتحرك الانتباه ، ويصل إلى ما ينبغي من النبر ، والصوت وحده لا يكفي للإفادة ، والإقناع ، والتعبير عن معاني اللذة والألم والغضب والرضا والبأس والرجاء ، والاحتقار ، والتوقير وما إلى ذلك ما لم تساعده حركات اليد وملامح الوجه ، وبريق العينين، وإشارة الطرف والحاجب [1] .

ومن آداب الأداء أن يتمهل قليلاً بعد الوقوف ، وقبل التكلم ليتم له الإصغاء ، ويوجه إلية أنظار السامعين.

(إن الإلقاء الجيد يجعل المادة الطويلة تمضي طويلاً فقد لاحظت في المباريات الجامعية أن الخطيب الذي يتميز بأفضل مادة لا يفوز دائماً ، بل الخطيب الذي يستطيع أن يتكلم بشكل جيد للغاية فتظهر مادته هي الأفضل [1] .

ويقول أيضاً والشخصية باستثناء التحضير الجيد هي ربما العامل الأكثر أهمية في الخطاب..)[2] .

وقد قال البرت هابرد (ما يفوز في الخطاب الجيد هو الأسلوب ، وليست الكلمات..)

وقد عد الأدباء من صفات الخطيب الناجح : أن تتوافر فيه عدة صفات منها:

جودة الإلقاء فهي مما يزيد الخطابة جمالاً وحسناً ، أن يجيد الخطيب إلقاءها ، فلا يستمر في نطقه بالجمل على وتيرة واحدة بل تكون الجمل متفاوتة في مظاهرها ، من نحو رفع الصوت وخفضه، وتفخمه وترقيقه ، والوقوف عند جملة ، أو وصلها بالأخرى ، والضغط على كلمة أو التلفظ بها في هوادة ، ومن هيئات الخطيب ،

---

(1) فن الخطابة ، دايل كارينغي ، مكتبة الهلال بيروت ، ط 1 ، 1988م ص (74).

([1]) مرجع سابق ، ص (74).

([2]) المصدر السابق الصفحة نفسها.

وسلامة ذوقه، وجودة إلقاء الخطبة هي التي تجعل لسماعها فضلاً عن قراءتها.[1]

ومنها أيضاً طلاقة اللسان ؛ وهذه من ألزم صفات الإلقاء الناجح بل وأشدها أثراً في ميادين القول ، واللسان عدة الخطيب ، وسلاحه في ميدان معركته ، واللسان الطلق هو الطريق السهل إلى قلوب المستمعين ، والممثل لصورة المعاني أمامهم ، وقد تكون الكلمة مختارة الاختيار المناسب ، مسبوكة أحسن السبك ، مرتبة أروع الترتيب إلا أن الخطيب الذي يلقيها تعوزه جهارة الصوت وقوة النبرة ، فتضيع حينئذ ثمرتها ، وينفض عنها السامعون ، فالذي أوتى موهبة في الإلقاء ، وقوة في الصوت ، وجاذبية[2]في النبرة ، يشد أنظار السامعين ، ويستحوذ عليهم بما يلقيه إننا لنقرأ في كتب الأدب ما يدلنا على أن العرب كانوا يأخذون أنفسهم بالتدريب على الخطابة ، حتى تلين لهم قناتها ، نجدهم مثلاً يتحدثون عن عمرو بن سعيد ابن العاص ، إنه كان لا يتكلم إلا اعترته حبسة في منطقة ن فلم يزل يتشارك ، ويعالج إخراج الكلام حتى مال شدقه ، ومن اجل هذا دُعي بالإشدق ، وإياه يعني الشاعر الذي يقول.

تشرف حتى مال بالقول شدفه وكل خطيب لا أبالك أشدق

وربما تصدى بعض خطبائهم لتعلم الفتيان كيف يخطبون .[3]

مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة الخطيب ، وهو يعلم فتيانهم الخطابة ، فوقف بشر يسّمع فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو يكون رجلاً من النظارة فقال بشر : (أضربوا عما قال صفحاً ، واطردوا عنه كشحاً ، ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره، وكان مما فيها) .

وكن في ثلاثة منازل ، فأول ذلك: أن يكون لفظك رشيقاً عذباً أو فخماً سهلاً ، ويكون معناك ، ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً فإن أمكنك أن تبلغ في بيان لسانك ، وبلاغة لفظك ولطف مداخلك ، وقدرتك في نفسك ، أن نفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ المتوسطة ، التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفون الأكفاء ، فأنت البليغ التام ، فقال له إبراهيم بن جبلة : جعلت فداك أنا أحوج إلى تعليمي هذا الكلام من

([1]) فن الخطابة ، د. يوسف أبو هلالة ، دار الكتاب ، القاهرة ، ط2005م ، ص (75).

([2]) المصدر السابق ، ص (78).

([3]) البيان والتبيين الجاحظ ، ط 1 ، ص (119).

هؤلاء الفتية.[1]

ومن دعائم الإلقاء أن تتوافر في صاحبه صفة الجاذبية والجمال فلابد من هيبة تملأ العيون ، وصوت جهوري ذي نبرات جذابة ، وبراعة في تكوين اللهجة ، بإعطاء كل معنى ما يناسبه من النبرات ومجموعة هذه الصفات يشكل جاذبية الإلقاء وجماله ."بأن الإحساس بالجمال فطرة في الإنسان وتحريك هذا الإحساس مدخل إلى عمقه النفسي والفطري ، ويتم التحريك بطرق متعددة ، منها تقديم الحقائق والمعاني والقيم في وعاء جميل ، وشكل جذاب وثوب أنيق.[2]

وقد جمع الجاحظ دعائم الخطبة في قوله جماع البلاغة ، البصر بالحجة والمعرفة بمواضع فرضية ؛ أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ الدرك وأحق بالظفر " إلى أن يختتم عبارته بالحديث عن جودة الإلقاء قائلاً :(وزين الكلام كله وبهاؤه أن تكون الشمائل موزونة ، والألفاظ معتدلة واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك ، الحسن والجمال طول الصمت)[3]

ومن تعريفات الخطابة التي هي أقرب إلى تعريف فن الإلقاء وهو: صفة راسخة في نفس المتكلم: يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين ، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم.[1]

ومن هذا القول إشارة إلى أن تكون الخطبة بطريقة إلقائية وهذا يعني جهارة الصوت ، وتكييفه باختلاف نبراته ، وحجم المعاني التي تضمنتها الخطبة ، وإبداء التأثر بها ، ومن مكملات هذه الطريقة ، أن تصحبها بعض الإشارات المعبرة ، كما يرى الخطيب انفعاله بما يقول.

ومن هنا نصل إلى أن الخطابة موهبة لا تدرك بالجهد وحده ، ولا تنال بالتعليم بقدر ما تدرك بالفطرة المواتية ، إلا أن للجهد والتعلم والمراس دوراً في بلوغها واعتلاء سنامها، كما أنها مرتبطة بفن الإلقاء ارتباطاً أبدياً.

المبحث الثاني

---

(1) العقد الفريد ن ابن عبد ربه ، ج2 ، ص (223 – 224).

(2) الإعلام والعلاقات الإنسانية ، زين العابدين ألركابي ، مطبعة الشروق ن ط.د.ت ، ص (16).

(3) الخطابة : أصولها وتاريخها ، ممد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ط 2 ، 1980م ، ص (19).

الإنشاد : تعريفه وارتباطه بالشعر

النشيد في اللغة رفع الصوت ، وهو أيضاً الشعر المتناشد بين القوم ، وجمعه أناشيد ، واستنشده شعراً : طلب منه إنشاده ؛ فأنشده إياه.[1]

ويقول الخوارزمي [2]: النشيد رفع الصوت في نشدان الصالة بكسر نون (نشدان) ثم يستعار لرفع الصوت في الإنشاد ، وأنشد أبو النصر للثعالبي.

وقدمت والأيام تنشد في الورى   بيتاً تُجد نشيده الأيام

والإنشاد موهبة لها شأنها الخطير في امتلاك أزّمة الآذان ، وجذب أعنة الحرف ، والتسلط على ألباب المستمعين في المحافل الحافلة، والمقامات المشهودة ، ذلك لأن طبيعة الجماهير العربية أن يطرب أسماعهم قبل قلوبهم ، ومن هذا يقول ابن حتوس في وصف قصائده.[1]

إذا أنشدت كادت لفرط بيانها   تعيها القلوب قبل وعي المسامع

فجعل المسامع أصلاً في وعي الكلام وأنها ، في العادة تسبق القلوب في الوعي والطرب.

فالموسيقى اللفظية هي بلا شك أهم وسائل الانتقال بالأصوات في فن الأدب ، لأن هذا الانسجام هو أكبر عامل في الإيحاء بذلك الجزء من العاطفة ، أو الشعور الذي لا يمكن أن تحيا التجارب بغيره[2].

ولا شك أن الأداء الشاجي ، والإلقاء المنغم ، والصوت العذب ، يستهوي السامعين بادئ ذي بدء ، ويستحوذ على مشاعرهم أول وهلة ، وينفث في أعصابهم حداء لذيذاً ، ويصرفهم عما وراء الصور اللفظية من معان وأفكار ، وأخيلة ، وربما كانت من النوع التافه أو العقيم أو الفاسد ، أو المتناقض ، أو المحال! وصدق الشاعر حين قال:

---

(1) أنظر لسان العرب والقاموس المحيط باب (نشد).
(2) شرح سقط الزند ، القسم الثالث ، ص (82) ، الدار القومية للكتب.
(1) الديوان ج 1 ص (33) ط المجمع العلمي بدمشق.

إن الحديثَ تغرُ القوم جلوته حتى يغيره بالوزن مضمار

فعند ذلك تستلقي بلاغــته أو يستمر به عي وإكثار

وكأين من قصيدة اهتز الناس لسماعها عجباً ، وترنحوا لها طرباً حتى إذا نشرت في صحيفة ، أو دونت في كتاب وقرؤوها في تؤدة وروية عدوها من سقط المتاع وأنكروا على أنفسهم استحسانهم لها أولاً ، واتهموها بالغفلة والبله ، ولكنها روعة الإنشاد التي تنقل السامع من عالم الوعي إلى عالم الطرب الموشي المجنح المتموج بالنشوة المسكرة.(1)

إن هذه الموسيقي اللغوية ، إنما تكون روعتها وصيغتها وأوزان توقيعها من اضطراب النفس في بعض مقامات الحماسة أو الفخر أو الغزل أو نحوها ، فترى بكلام المتكلم من أبعد موضع في قلبه حتى تنتهي به إلى الحلق ، وترسله من هنالك وكأن ألفاظه عواطف تتغنى.(2)

وقد أشرنا في مبحث فن الإلقاء إلى أن الأصل في الشعر أن يلقى إلقاءً و إن شئت فقل ينشد إنشاداً ، لأنه غناء ... ومن هنا يكون الشاعر مغنياً .

قيل مر الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي ﷺ ، وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره ، فقال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة لقد كان ينشد رسول الله ﷺ فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه إذا أنشده.

وقيل كان النبي ﷺ يعجبه شعر الخنساء ، ويستنشدها ويقول (هيه يا خُناس ويومئ بيده) ولكون الشعر غناء والشاعر مغن يقول حسان بن ثابت:

تغن في كل شعر أنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

ومذ كان الشعر العربي في أوليته حداء للإبل ، وكان بعض الشعراء يلقي شعره على نحو الترنم والتطريب ، والتلحين ، ومن شعراء العرب في العصر الجاهلي الذي كان يُتغنى بشعره أعشى قيس حتى لقب بصناجة العرب . إذ أن العرب كانوا يتغنون بشعره وينشدونه في مجالسهم.

---

(1) راجع ، الشعراء وإنشاد الشعر ، على الجندي ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، ص (166).
(2) إعجاز الفن ، مصطفى حماد الراحل ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، 1987م ، ص (129).

إلى جانب أن الغناء بالشعر يبين ما عسى أن يكون فيه من عيب عروضي كان خافيا: يقول محمد بن سلام ، لم يعيبوا أحد من الطبقة الأولى ، ولا من أشباههم إلا النابغة في بيت قصيدته التي أولها :

من آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مـــزوّد

وهما قوله:

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود

وقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا بالـــيد

بمخضب رخــص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

فلما قدم المدينة عيب عليه ذلك فلم يأبه حتى أسمعوه إياه في غناء وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو ، فقالوا لجارية لهم إذا صرت إلى القافية فرتلى ، فلما قالت "الغراب الأسود" بالرفع ، علم فانتبه فلم يعد فيه ، وقال: قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس.

ويقول الأستاذ علي الجندي [1]: "والحق : أن القارئ الآخذ بحظ من الأدب لا تكاد تمتعه قراءة الشعر إلا بصوت مسموع ، ليشرك أذنه مع قلبه في هذه البهجة الفائقة ، على أن الشاعر كما أعرف من تجاربي وتجارب غيري إذا استعصى عليه الاسترسال في قرض الشعر ، شرع في التغني والترنم ، فسرعان ما تهتز نفسه من داخلها.

فيتدفق عليه القول ومثل ذلك يحدث له إذا استمع إلى أغنية يحبها ، أو موسيقى يستريح إليها ، ولهذا قيل مقود الشعر: الغناء، وحكي عن أبي الطيب المتنبي: أن مستشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها:

جللاً كما بي فليكُ التيريح أغذاء ذا الرشا الأغن الشيح

وهو يتغنى ويصنع فإذا توقف بعض التوقف ، رجع بالإنشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهت ، ومعنى ذلك ، أن الشعر غناء ، وإنشاد وللشعراء منذ العصر الجاهلي عادات في إنشادهم عرفوا بها قديماً فالخنساء كانت تهتز في مشيتها وتنظر في أعطافها ولقد صنعت ذلك حين أنشدت قصيدتها الرائية التي تقول فيها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه عــــلم في رأسه نار

---

[1] أنظر الإنشاد والشعر على الحيزي ، ص (23).

وإن صخراً لمولانا وسيدنا وإن صخر إذا نشتو لنحار[1]

وكان كعب بن زهير إذا أنشد شعراً قال لنفسه: أحسنت وجاوزت والله ، حد الإحسان.[2]

فيقال له: أتحلف على شعرك؟

فيقول نعم . لأني أبصر به منكم.

وكان الكميت ، إذا قال قصيدة ، صنع لها خطبة في الثناء عليها ، ويقول عند إنشادها: أي علم بين جنبي؟ رأى لسان بين فكي؟ وكان أبو النجم العجلى ، إذا أنشد ، أزبد ورمى بثيابه.

ومن الشعراء المجيدين في الإنشاد في العصر الجاهلي أعشى قيس، وفي العصر الآموي: وقد عرف بحسن الإنشاد الشاعر (وضاح اليمن) وقد كان من أجمل الناس وجهاً وأظرفهم وأخفهم شعراً.

وهو القائل في حسن شعره وإنشاده:

عجب الناس وقالوا : شعر وضاح اليماني
إنما شـــــعري قند وقد خلط بجلجلان

ومن الذين عرفوا بحسن الإنشاد في العصر العباسي أبو نواس .

ومن الأندلس عرف ابن زيدون بروعة إنشاده ، وقد كان رقيق النغمة ، حلو الإنشاد وكان لذلك أثره في تجميل شعره ، وابن زيدون لا تنكر حلاوة شعره ، وجمال ديباجته ورقة معانيه ، حتى لقب ببحتري المغرب ، وهو حقيق بهذا اللقب ، فإذا رزق بعد هذا جمال الصوت ، وحسن التنغيم ، وجمال الأداء ، فقد حاز النعمتين ، وجمع بين الحسنيين ، وقد جمع إلى جانب ذلك مهارة الإلقاء كجهارة الصوت وحسن الوجه ، ولطافة النبر.

الإنشاد في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث ، عرف جَمّ غَفير من الشعراء بحسن الإنشاد منهم ، حافظ إبراهيم ، وعلى الجارم ، وقد كان حافظ مديد النفس ، جهير الصوت ، محسن إخراج الحروف من مخارجها ، ويعرف أين يقف؟ ومتي تجهر؟ومتى تهمس؟ ويدري الفرق

([1]) انظر المستطرف في كل من مستظرف ، ج 1 ، ص (13).

([2]) المصدر السابق ، (13)

بين مواضع الخبر ومواضع الإنشاء.

وقد ساعده على ذلك كثرة محفوظة من التراث البليغ الفصيح ، وتدربه على إلقائه في مجالسه الخاصة ، وحبه للقاء الجماهير ، وأنسه برؤيتهم وتعاطفه معهم.

ويقول الأستاذ على الجندي واصفاً إياه " أنه كان كابن الخياط الدمشقي ، يستظهر شعره كله ، ويمارس إنشاده منفرداً قبل إنشاده أمام الشهود ويلقيه عن ظهر قلب ، كما أن أذنه الموسيقية المرهفة ، كانت خير هاد له على تكييف الجهر والهمس ، والصعود والهبوط وفيه يقول أحد الشعراء (محمود عماد)

يسحرنا شعره أنه   وأن صوته يسحر

لقد قر حافظ في صوته   فما شئت تسمع أو تبصر

إذا ما سمعناه من خلف ستر   رأيناه ما بيننا يخطر [1]

ومن الشعراء الذين تميزوا بروعة الإنشاد على الجارم فقد كان أندى صوتاً من حافظ وأحلى نغمة وأعذب ترنماً وكان يتخايل ويتمايل في إنشاده شعره ، فكان أشبه بالممثل منه بالمنشد ، وبخاصة أساليب التعجب والاستفهام والوقوف على مقاطع الكلام ، وكان مالكاً لنفسه ، شديد الثقة بها عارفاً أنه يسيطر على السامعين بحسن أدائه ، فكان يظهر منه العجب والمخيلة(على حد قول الأستاذ علي الجندي) كما كان يضفي عليه شجاعة وجرأة ، فلا يتلعثم ولا يتوقف ولا يضطرب ، كأنما ينشد لنفسه وقد ظل محتفظاً بهذه السمات حتى أيامه الأخيرة.

ومن الشعراء الذين يجيدون الإنشاد ، ويتميزون بجمال الإلقاء الشاعر السوداني صديق المجتبى فقد كان يلقي بصوت مؤثر يعرب عن وجدان وعاطفة صوتية عميقة ، فقد كان لأدائه الصوتي المطابق لأدائه النفسي أبلغ الأثر في سامعيه.

ومن الشواعر اللائي حسن الإنشاد ، وكان لهن إلقاء خاص عرفن به ، وقد كان يؤلف بينهن جميعاً نداوة الصوت ، وعذوبة الإيقاع وحلاوة النغم ، ومن المعروف أن الأنوثة الرقيقة تخلق من الصوت الخشن صوتاً رقيقاً ، فما الظن إذا كان الصوت رقيقاً وكان الشعر مستجاداً ، ومن الشاعرات العربيات اللائي عرفن بجمال الإلقاء وعذوبة الإنشاد الشاعرة طلعت الرفاعي وعزيزة هارون.

ومن الشواعر السودانيات اللائي تميزن بحسن الإلقاء وروعة الأداء الشاعرة روضة الحاج فإن من يشاهدها ن وهي تلقي وتنشد شعرها ، في حركات رشيقة

---

(1) انظر الشعر والإنشاد ، على الجندي ، ص (63).

ومتزنة وتنقل عينيها ذات اليمين وذات الشمال متابعة لحركات رأسها كل ذلك موقع على صوتها الموسيقي الرخيم الذي يشبه بغام الظباء وعند نهاية كل مقطع ترمي السامعين بنظرات ساهمة حالمة من طرفها الغضيض ، يقطعها وميض ابتساماتها الوضيئة التي لا شك في أنها تصدر تلقائياً دون قصد وتعمد.

وهي إذاعية لامعة ، وأدبية مرموقة لها مكانتها في الأوساط الأدبية والاجتماعية على المستوى المحلي والعربي ، وهي تتميز بالأناقة من كل وجه أناقة في المظهر وأناقة في اللفظ ، وأناقة في المعنى ، وأناقة خاصة في الإلقاء ، ويتحلل ذلك عاطفة ثائرة، وراء الألفاظ الهادئة. قصدت أن تمزج بين ذاتها الداخلية وذاتها القومية فكان لها ذلك في تناغم موقف وكأني بالمازني قد قصدها في هذه الأبيات.

ورب فتاة يملك الطرف حسنها   تغني بشعر مســـترث فتطرب[1]
كسته من الصوت الأنيق حلاوة   فعاد نضير النور يصبي ويعجب
وثابت إليه روحه وتضـــوعت   نســائم في بوغـائها تتقــلب

وفي ختام هذا البحث هنالك أشياء لابد من مراعاتها ، ليزداد بها الشعر حسناً في حال إنشاده ، كما أنها تضفي على الإنشاد نفسه أناقة وبراعة وطرافة، فيتلقاه المسامع بالقبول ، وتنشرح له الصدور ، وتهتز له العواطف والوجدان ، وتحس له بشاشة ، ونداوة وحلاوة فمن ذلك عذوبة النغمة ، إذ ليس الإنشاد إلا ضرباً من التطريب ، والغناء أساساً يعتمد على جمال الصوت ورقته ، ورخامته.

ويضاف إلى ذلك أن يكون لسانه سالماً من العيوب التي تشين الألفاظ فلا يكون ألثغ ولا فأفاءً ، ولا تمتاماً ، ولا ذا حبسة ولا ذا لفف.[1]

ومن ذلك حسن الهيئة والبشارة و أن يكون نظيف الثياب ، أنيق الهندام ، حسن الهيئة ، عطر الرائحة ، إلى جانب ذلك في أشياء أخرى معنوية أوردها ابن رشيق في قوله" (من حكم الشاعر: أن يكون حلو الشمائل حسن الأخلاق ، طلق الوجه ، بعيد الغور ، مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطئ الأكناف ، فإن ذلك ما يحببه إلى الناس ويزينه في عيونهم ، ويقربه من قلوبهم أو ليكن مع ذلك شريف النفس لطيف الحس عالي الهمة ، لطيف البزة في نهاية العامة ، ويدخل في جملة الخاصة فلا تمجه

(1) ديوان المازنى ، المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون ، مصر ، ط 2 ، 1987م.
(1) انظر نقد النثر ، قدامة بن جعفر ، ص (112).

أبصارهم ، سمح اليدين.[1]

ونصل على أن جمال الهندام ، وحسن الشارة ، وأناقة الملبس مشروطة في الشاعر لا الخطيب ، كما أن الخطيب يجب أن تتوافر فيه جهارة الصوت كما يجب أن تتوافر حلاوة النغم ، وعذوبة الصوت في الشاعر ، وتعليل ذلك:

أولاً: أن الشعر : فن لطيف ظريف ، رشيق مترف ، فينبغي أن يصحبه ما يؤائمه ويشاكله من الأدوات الحسية والمعنوية .

ثانياً: أن الشعر من بضائع الخاصة لا العامة ، والذي يخالط الخاصة يجب أن يتزيا بزيهم ، ويكون على هيئاتهم وشاراتهم وإلا كان غريباً عليهم ن فازدروه ومجوه.

وصفوة القول: أن الإجماع واقع على أن الشاعر يجب أن تجتمع له سمات الأناقة والبهاء.

وقد زادوا في ذلك أن يختار المنشد القوافي الخفيفة الظل ، الحلوة النغمة ، العذبة الرنين، لأنها قوام الشعر وملاكه ، وأظهر سماته ، وأشرف أجزائه ، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية.[2]

وان يتجنب حروف الروي الكريهة التي تصطدم الآذان ، وتسد النفس ، وتخدش الحاسة الفنية ، وأن يلتزم التصريع في قصائد الإنشاء ، لان التصريح ليس إلا ضرباً من الموازنة والتعادل بين العروض والضرب يتولد فيها جرس موسيقي رخيم، وهو لذلك من أمس الحلي بالشعر ، وأقربها إليه نسباً وأوثقها به صلة.

ونحن حينما نرهف آذاننا للإنشاد من شاعر معروف ، فأول ما نتشوق إليه ، ونترقبه منه ، هذا التصريع الذي يشبه مقدمة موسيقية خفيفة قصيرة تلهب إحساسنا ، وتهيئنا لاستماع قصيدته وتدلنا على القافية التي اختارها ، وأنك لتهش لقول المتنبي.

---

(1) العمدة ، رض رشيق اليروان ن ط 1 ، ص (131) .

(2) أنظر الخصائص ، ط 1 ، ص (85).

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

وأن يتوخى في حسن المطلع والمقطع : أي حسن الابتداء وحسن الانتهاء ويسمى حسن المطلع أيضاً ، براعة المطلع ، وبراعة الاستهلال ، وقد كان ابن العميد يقول إن حسن الشعر المطالع والمقاطع.

فأما حسن الابتداء فهو أول ما يقرع أذن السامع ، فينشرح له صدره وتهتز إليه نفسه ، ويشعر له بأريحية وبهجة ، فيتشوق لما يأتي بعده، وينساق إلى الإصغاء إليه طواعية واختياراً ولاسيما إذا كان الافتتاح مصوراً لجو القصيدة مترجماً عنها ملخصاً لمغزاها فإنك عندما تقرأ مطلع قصد: أبي تمام:

السيف أصدق أبناء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

يلقي في روعك: أنها قصيدة حربية ، تقرر: أن للسيف الكلمة الأولى في حسم المشكلات ، ودحر الأعداء ، ويتم الظفر الفاصل والنصر العزيز.

وإن الأمر في الواقع ليست إلا حزماً للسيوف ، كما يقول المتنبي:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد سيف ليس المجد للقلم

أكتب بنا أبداً قبل الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالخدم

وحسن المقطع ، أن يراعي حسن الخاتمة ، أي ختام القصيدة فإنه لا يقل أهمية عن المطلع ، بل ربما فاقه لأنه به يكون الحكم على القصيدة وهو كما شبهه على الجندي ، أشبه بالحلوى التي يختم بها الطعام ،فإن لم تكن حلوى في ختام الطعام كان خداجاً كما يقول الحكماء.

وفي القرآن الكريم (ختامه مسك) ، فليحذر الشاعر سوء الخاتمة فإنما الأعمال بخواتيمها ، كما جاء في الأثر.

وقد كان شبيب بن شيبة يقول: الناس موكلون لتفضيل جودة الابتداء ويمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه[1] .

ويقول ابن رشيق ، وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد

(1) البيان والتشبيه ، الجاحظ ، ج 1 ، ص (6)

بها فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح.(2)

ومن المقاطع الحسنة قول ابن زيدون:

عليك منا سلام الله ما بقيت صبابة بك نخفيها فتخفينا

وقد عرف المتنبي بحسن المطلع والمقاطع معاً ، ومن مطالعه

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكــارم

وتصغر في عين الصغير صغارها وتعظم في عين العظيم العظائم.

ومن مقاطعه الجياد قال مادحاً:

يفنى الكلام ولا يحيط بفضلهم أيحيط ما ينفذ بما لا ينفذ

الخــــــاتمة

البحث في مجمله كان رصداً لبيان القيمة الفنية والتاريخية لفني الإلقاء والإنشاد وإبراز ما فيهما من جماليات اللغة . فاللغة العربية لغة بديعة الصور ، محركة للذهن ، مثيرة للوجدان ، وتتجلى هذه الصفات في الشعر وتكون أظهر ما تكون عبر الإلقاء والإنشاد وجمال الصوت . وعبر هذه الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التّالية .

1/ اللغة العربية لغة غنائية فمن سماتها كثرة الإيقاع والتنغيم .

2/ الإلقاء موهبة من المواهب يصقلها العلم وتجليها المعرفة .

3/ الشعر العربي مشتق من تطريب هذه اللغة فهو كلام موسيقي منغَّم متوازن .

4/ الأصل في الشعر العربي أن يلقى إلقاءً وينشد إنشاداً .

5/ أن يكون المُلقي خالياً من العيوب وخاصة فيما يتصل بالنطق .

6/ الغرض من الإلقاء التعبير عما في النفس ابتغاء الإفهام والتأثير في المتلقيّ .

وفي نهاية هذا البحث أسأل الله تعالى أن أكون قد أصبت الهدف ورتبت عين القرطاس فإن وفقت فلله الفضل والمنة ، وإن كان غير ذلك فالكمال لله وحده .

---

(2) ابن رشيق القيرواني ، ج 1 ، ص (47).